ظاهرة الإبدال الصوتي في اللهجات العربية القديمة وأثرها على أصوات العامية السودانية

دراسة وصفية تاريخية

د. انتصار عثمان إبراهيم*

Abstract

The importance of this study comes from tow side
The first side:
It explain the arabic phonetic in adjectively and historically and explain the development of these phonetic for historical.
The second side:
The author study aimed to linked between the phonetic local Sudanese and the phonetic Arabic language due to satisfy the author to importance the satirical studies in educate and learn the languages.
In this study can found the local Sudanese actually which collects all the tongue of the Sudanese tribes and there tradition and different cultural must be stopped on it in order to studies and analytical.
The result of this study notice that in local Sudanese have a lot of properties which some humans express that was far away from Arabic language.

While the study fixed that was not far away from the low phonetics and the work whom Arabic exchanges.

الحمد لله حمداً لا يحصيه إلا هو، على ما أنعم علي، ووفقني له من خير،ابتغي فيه العلم وخدمة اللغة العربية. والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر الميامين.

وبعد...

تأتي أهميّة هذه الدراسة من جانبين:

الجانب الأوّل:أنّها تتناول أصوات العربية تناولاً وصفيا وتاريخيا، بوصف مخارجها وبيان صفاتها كما وردت في كتب القدماء،ثم بيان التطور الذي حدث لهذه الأصوات عبر التاريخ. إلى أن وصلت إلى الوصف الحديث الّذي وصفه لنا علماء اللغة المحدثين لأصوات الفصحى الحديثة بحسب نطق مجيدي التلاوة لها اليوم.

* أستاذ مساعد – جامعة أم درمان الإسلامية – كلية اللغة العربية، قسم اللسانيات.

الجانب الثاني:محاولة الباحثة ربط أصوات العامية السودانية بأصوات العربية في اللهجات العربية القديمة والتأصيل لها من خلال تناولها عبر ظاهرة الإبدال الصوتي للأصوات الصامتة في العامية السودانية؛وذلك لما لدراسة اللهجات من أهمية كبيرة في الدرس اللغوي الحديث فهي تعيننا في توضيح بعض الحالات اللغوية القديمة التي لا نجد عنها ما يكفي من الوثائق. كما أنه لا يمكننا أن نعلم شخصاً ما لغة من اللغات دون أن نراعي المتاع اللغوي الذي يملكه ، ويشبه أحد علماء اللغة المحدثين المعلم الذي يعلم تلميذه لغة دون اعتبار اللهجة التي يحملها كمثل المهندس يبني جسرا على نهر بدون دراسة طبيعة الأرض التي يبني عليها.[1] وكم من أخطاء يرتكبها متعلمو اللغات الأجنبية يكون سببها الأساسي هو تأثرهم بنظام لهجاتهم التي يتكلمون بها في حياتهم اليومية. لذلك فإنني أتفق مع علم اللغة الحديث في أن الاستعانة باللهجات ودراستها يعيننا كثيراً في فهم العربية الفصحى وتعليمها لأبنائها وللناطقين بغيرها من اللغات،وكما يقول أستاذ الدراسات السودانية البروفيسور عون الشريف قاسم "رحمه الله" الذي يرى في مثل هذه الدراسات إضافة حقيقية للجهود المبذولة في هذا المجال الذي كان لأسلافنا القدماء قصب السبق فيه أمثال الكسائي في (لحن العوام) والزبيدي في (لحن العامة) وما إليها. خلافاٍ لما يذهب إليه بعضهم من أن الاعتناء باللهجات خطر على الفصحى.وتذهب الباحثة إلى أبعد من ذلك وترى أنه بدراسة اللهجات تتكشف الكثير من ملامح الشخصية السودانية، فهنالك الكثير من الكلمات التي تعبر عن الشخصية السودانية يمكننا من خلالها معرفة التغيرات والتحولات التي شهدتها الشخصية السودانية.

والذي لا شكّ فيه أنّ العامية السودانية تستحق أن نقف عندها وندرسها؛ إذ إنّها تعبير لنا عن الإنسان السوداني بعاداته وتقاليده وآدابه وتاريخه وثقافاته المختلفة، فنجد الكثير من أدبائنا وشعرائنا القوميين يكتبون أدبهم بالفصيح والعامي، وأقرب مثال لذلك الشاعر السوداني الكبير إسماعيل حسن[2] فلنستمع إليه يكتب بالفصحى فنحسه انحدر لتوه من شعاب مكة وبطونها:

1 التصريف العربي من خلال علم الأصوات .د. الطيب البكوشي .ط3 1992 ص: 12 .14

2 شاعر سوداني ولد بالولاية الشمالية عام 1927 م أكمل تعليمه بالقاهرة، عمل خبيرا بوزارة الزراعة بالسودان له عدة دواوين شعرية منها " ليالي الريف" و"خواطر إنسان" و"ريحة التراب" برع في النظم بالعامي =والفصيح. توفي بالخرطوم عام 1982م موسوعة التوثيق الشامل قسم الشعر السوداني، منتدى شعراء الأغنية القومية.وانظر أيضا صحيفة آخر لحظة 29 أكتوبر 2016م.

أبكي ربيعك ياسمراء أبكيه **عهد تصرم و انفضت لياليه
إني تلفت في روض الشباب فل **حسن يزيد بهاء الروض في التيه
أتذكرين زمانا كان يجمعنا حلم الشباب جميلا في مغانيه**
لا اليوم كالأمس يا سمراء واحزني **حتى أخاف من الأنسام تدميه
جاء الخريف وفيه الريح عاتية **ثكلى تولول بين الصخروالتيه

ثم لنستمع إليه يكتب بالعامية السودانية فنجد أنفسنا نحتاج إلى مترجم لمعرفة بعض الألفاظ الموغلة في العامية:

بلادي أنا بلاد ناسا مواريثم
في أول شيء كتاب الله
وخيل مسروج وسيف مسنون حداه درع

والعامية السودانية التي أعنيها في هذه الدراسة ليست لهجة أو لغة قبيلة معينة من قبائل السودان؛ لأنه كما هو معروف لكل قبيلة لسانها الخاص الذي تميزت به، منها ماهو عربي الأصول, ومنها ما هو حامي، ومنها ما هو بربري, ومنها ماهو إفريقي. فعاميتنا السودانية هي حصيلة تمازج العربية مع لغات أفريقية أخرى ،ولكن عندما اجتمعت هذه القبائل السودانية مع بعضها في المدن الكبيرة بصورة عامة' وفي مدينة الخرطوم بصورة خاصة كونت لنا عامية خاصة تطلق على اللسان العام المشترك الذي يجمع كل السودانيين بلهجاتهم ولغاتهم المختلفة. والحقيقة التي لابدّ من قولها: إن في عربية السودان جزالة وشدة أسر وجهامة في القالب تذكرنا بما هو موجود داخل المعجمات، بل تعدّ عامية السودان من أفصح العاميات في العالم العربي بل هي تقرب .كما أكّد الأستاذ: عبد الله الطّيب من لهجة بني أسد في الجاهلية، فنجد ألفاظا عربية خشنة تدور في اللسان السوداني مثل:

البرمة للجرة، والتلتلة للحركة بعنف، والجنى: للثمر والصبي، والحرد للغضب، والحوار للتلميذ، والطخا: للغيم. وقد علق الأستاذ عبد الله الطيب " رحمه الله " على أن مثل هذه الكلمات تعبر عن قوة الإنسان السوداني.[1] مما دفع بالأستاذ حسن نجيلة[2] إلى القول: " إذا أتيح لك الاستماع إلى بعض هذه الألفاظ، أو رأيتهم يبدلون الحروف على غير ما تعهد، فلا تعجل عليهم باللوم، وإنما اتهم نفسك بالعجمة أولا، وعد إلى كتب اللغة واستفتها تنبئك

1الشعر الحديث في السودان .عبده بدوي. من منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب. ص: 40. 42
2أحد النقاد والكتاب السودانيين المعاصرين، له من المؤلفات المطبوعة " ذكرياتي في البادية"

باليقين"[1].فما نسميه عاميَ هو في الحقيقة فصيح، وتحضرني في هذا الموضع طرفة حكاها البروفيسور صلاح الدين المليك وجدتها في مقال للعقيد إبراهيم عقيل مادبو على صفحته ب (الفيس بوك) ختم بها، بعنوان:

"العامية السودانية وارتباطها باللغة العربية. .. مستودع السمات السودانية الأصيلة "

أن مذيعا مشهورا في إذاعة لندن قدم أغنية سودانية وقرأ من ورقة التقديم: "يغنيكم عثمان حسين ما رأيت في الكون ياحبيبي أجمل منك في دلالك وتيهك وجهالة سنك"ونطق عنوان الأغنية بالعربية الفصحى معربا أواخرها، لظنه أن الأغنية بالعربية الفصحى ولم يشك من كلمات العنوان أن الأغنية من العامية السودانية ،ولكنه صُدم عندما بدأ الفنان يغني، وقال بدهشة بعد نهاية الأغنية: "هذه أغنية عامية في الأداء لكنها فصيحة الألفاظ"[2]. وعندما نتحدث عن العامية السودانية فإنه من الأهمية الإشارة إلى جهل البعض بالعامية السودانية ، وعدم معرفتهم بالاشتقاق والتغيير الدلالي في اللغة والإبدال الذي يؤدي لاختلاف الكلمات وتغيير الحروف عند نطقها مما يدفع بالبعض إلى الاعتقاد أنَّ قائلها لايتقن اللغة العربية أو أنها لا تنتمي إلى اللغة العربية.

والعلاقة بين العامية السودانية واللهجات العربية القديمة علاقة قديمة ترتبط بتاريخ دخول العرب السودان الذي يؤرخ له بعض المؤرخين بتاريخ يرجع إلى ما قبل المسيحية[3]، والذي لاشكّ فيه أنّ هؤلاء العرب الذين دخلوا السودان قبل الإسلام لم تكن لغتهم هي الفصحى، بل تحدثوا بلهجات عربية مختلفة مثل: الحضرمية والحميرية والنبطية، المهم أنّه قد تحدث الإنسان السوداني بلسانٍ عربي ممزوج باللغات الحامية والبربرية الأخرى التي لا تزال آثارها واضحة على لسان بعض القبائل السودانية: كالنوبية في شمال السودان والبجاوية في شرقه، وبعض اللغات الأفريقية في جنوبه الشرقي، ومجموعة من اللغات الحامية في غربه.وبالتأكيد فإن مثل هذا البحث يعود على دراسة اللغة الفصحى بفوائد كثيرة. ونشوء اللهجات من اللغة الفصحى أو اللغة الأم تطور درجت عليه الإنسانية في قديمها وحديثها. واللغات كسائر الظواهر الإنسانية في تطور مستمر سواء ما كان منها فصيحًا أو عاميًّا؛ فاللغات الفصحى التي عرفها

1الشعر الحديث في السودان. عبده بدوي. ص: 221

2 من موقع https://m.facebook.com صفحة العقيد إبراهيم عقيل مادبو

3الشعر في السودان. عبده بدوي ص:94

الإنسان تتطور في اتجاهين مادامت حية: أحدهما: اتجاه خاص بها بصفتها لغة مقننة ذات أصول وحدود.

وثانيهما: اتجاه متفرع منها وذلك بنشوء صيغة ميسرة تتحدث بها الشعوب في حياتها اليومية.

والمتأمل في اللغات جميعًا يلاحظ أن تطور الصيغة الشعبية أو العامية يكون في العادة أسرع خطًّا من تطور اللغة الفصحى.

أمّا التطور الصوتي لأصوات العربية: فالعربية كغيرها من اللغات كما عرفها علماء اللغة القدماء والمحدثون واتفقوا على طبيعتها: فهي "مجموعة من الأصوات تتصل مع بعضها بعضًا في نسق معين لتعبر عن الأفكار الإنسانية، وتربط أفراد المجتمع مع بعضهم بعضا[1] يقول فندريس: إن ما يسمى صوتا هو الأثر الواقع على الأذن من بعض حركات ذبذبية للهواء. والذبذبات في اللغة يحدثها الجهاز الصوتي للمتكلم.

وفي كل لغة ترتبط الأصوات بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً، فهي تكون نظاماً متجانساً مغلقاً تنسجم أجزاؤها كلها فيما بينها، هذه هي أول قاعدة من قواعد الصوتيات، وهي ذات أهمية قصوى، لأنها تثبت أن اللغة لا تتكون من أصوات منعزلة ، بل من نظام من الأصوات.[2]

لذلك فإنّ عملية إصدار الصوت الإنساني تتطلب أمرين:

الأول:بذل مجهود معين من جهاز النطق الإنساني.

الثاني: موافقة الصوت للسياق الذي يرد فيه؛ لأنه ليست كل الأصوات صالحة لمجاورة بعضها بعضا؛ فلابدّ من مراعاة الانسجام الصوتي بين الأصوات المتجاورة وليتمّ ذلك لابد من حدوث نوع من التغيير والتبديل لبعض الأصوات عند مجاورتها لأصوات أخرى وهو ما يعرف بالإبدال الصوتي.

والإبدال في اللغة:

مصدر أبدلت كذا من كذا إذا أقمته مقامه. والأصل فيه:جعل شيء مكان شيء آخر وتَبْدِيل الشَّيْءِ: تَغْيِيرُهُ وإِن لَمْ تأْت بِبَدَلٍ. واسْتَبْدَلَ الشَّيْءَ بِغَيْرِهِ وتَبَدَّلَهُ بِهِ إِذا أَخذه مَكَانَهُ. والمُبَادَلَة:

1من علماء اللغة القدماء عرفها ابن جني في الخصائص بقوله: "أمّا حدّها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم" الخصائص لأبي الفتح عثمان ابن جني.تحقيق محمد علي النجار.عالم الكتب بيروت33/1

2من كتاب اللغة.لفندريس.ص: 62

التبادُل. والأَصل فِي التَّبْدِيل تَغْيِيرُ الشَّيْءِ عَنْ حَالِهِ، والأَصل فِي الإِبْدَال جَعْلُ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ كإِبدالك مِنَ الْوَاوِ تَاءً فِي تَالله.[1]

والإبدال اصطلاحاً:

جعل صوت مكان صوت آخر مع الإبقاء على سائر أحرف الكلمة.[2] ولكن هذا الإبدال لا يقع عبثا، وإنما تحكمه قوانين معينة،حصرها علماء الأصوات في قانونين هما:

قانون الأقوى:"low of the stronger"وبموجبه يتغلب الصوت الأقوى على الأصوات المجاورة له.

قانون الجهد الأقل: Effort or economy of effort principle of least ويهدف هذا القانون إلى تحقيق حد أعلى من الوضوح بحدٍّ أدنى من الجهد والطاقة[3].

وعلى ضوء هذين القانونيين يمكننا تفسير الكثير من مظاهر التغييرات الصوتية التي تحدث للأصوات لتكون لنا نظاماً متجانساومنسجماً.وهذا ما أتناوله في هذه الدراسة من خلال أصوات العامية السودانية، فقد لاحظت من خلال قراءتي في اللهجات العربية القديمة أنّ في العامية السودانية الكثير من الخصائص التي قد يظن بعض الناس أنها خارجة عن نطاق ما عرفته العرب في لغتها، وهذه الخصائص منها ما هو صوتي ومنها ماهو صرفي ومنها ما هو نحوي ومنها ما هو دلالي، إلا أنني اخترت لهذه الدراسة نماذج من الجانب الصوتي لنعيد من خلاله قراءة العامية السودانية وربطها باللهجات العربية القديمة، من خلال ظاهرة الإبدال الصوتي؛ إذ إننا نجدهم يبدلون ولكنهم لا يخرجون في إبدالهم عن القوانين الصوتية العامة.وقد أفدت في جمع كلمات هذه الدراسة من معجم اللهجة العامية الدارفورية لأستاذي وشيخي الدكتور: إبراهيم آدم إسحق "متعه الله بالصحة والعافية" العامية الدارفورية التي وجدتها لا تختلف كثيرا عن العامية التي أتحدث عنها.

ومن الأصوات التي أبدلت في العامية السودانية:

1/ صوت الهمزة:الهمزة عند القدماء صوت شديد مجهور مخرجها أقصى الحلق[1].

1لسان العرب . لمحمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين بن منظور . دار صادر بيروت . ط:3 . 1414هـ . مادة (بدل)

2وقد ورد في كتب التصريف في تعريف الإبدال أنه جعل حرف مكان حرف آخر إلا أنني وجدت أنّ هذا التعريف عام لا يشمل الحركات. ولابن جني في الخصائص رأي في البدل والعوض. الخصائص 265/1

3أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية . د: فوزي الشايب . د ط 2004م . عالم الكتب الحديث . ص:61

والصوت الشديد:(هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه) والأصوات الشديدة عندى سيبويه هي (الهمزة والقاف والكاف والجيم. ..)[2]

والهمزة عند المحدثين:صوت صامت حنجري وقفة انفجارية، لا مجهور ولا مهموس[3].فمخرج الهمزة عند المحدثين .كما ينطق بها مجيدو القراء في العالم .ليس الحلق، وإنما هو الحنجرة[4]

والهمزة من أكثر الأصوات صعوبة على جهاز النطق الإنساني؛يحدث بأن تسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين بإنطباقهما انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالمرور، ثمّ ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتاً انفجارياً[5]، لذلك فقد مالت معظم اللهجات العربية إلى تخفيفها؛ تحقيقاً لقانون الاقتصاد في الجهد وطلباًللخفة والسهولة، أمّا في العامية السودانية فلا نكاد نجد الهمزة محققة، فهي إما أن تحذف أو تبدل، سواء وقعت في بداية الكلمة أو وسطها أو آخرها.

وفي بداية الكلمة قد تبدل الهمزة لاماً إذا دخلت عليها لام التعريف وتدغم فيها، فنقول في العامية السودانية: اللصبع بدلا من الأصبع، واللرض بدلا من الأرض، واللحد بدلا من الأحد، واللربعاء بدلا من الأربعاء، واللبيض بدلاً من الأبيض واللخضر بدلاً من الأخضر، واللبل بدلاً من الأبل والليد بدلاً من الأيد. وهذا الإبدال لهجة عربية قديمة حكاها الكسائي والفراء، فذكروا أن العرب تقول: اللحمر واللرض في الأحمر والأرض [6]وفي وسط الكلام قد تحذف الهمزة أو تبدل(ياءنحو: بايع، وقايل، وفاس وبير.وقد ورد ذلك في القراءات﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ

1سر صناعة الإعراب لابي الفتح عثمان ابن جني .دار الكتب العلمية بيروت لبنان .ط 1 1421هـ .2000م .1/ 83

22 الكتاب سيبويه 434/4

3علم الأصوات .كمال بشر .دط 2000م .دار غريب للطباعة والنشر .ص: 119

4 /فصول في علم أصوات العربية .د. إبراهيم آدم إسحق .من منشورات مجمع اللغة العربية الخرطوم .1440هـ /2018م .ص34

5علم اللغة .محمود السعران .دار المعارف .1962ص: 170

6من أصول اللهجات العربية في السودان .د عبد المجيد عابدين .مكتبة غريب مصر ط 1 1966 .ص: 17 وما بعدها.

لَكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾[1] فقرأ الأشهب والحسن: باريكم بالياء دون همز[2]

وتحذف إذا وقعت في نهاية الكلمة نحو: السما والهوا والصحرا.

ومن مظاهر تخفيف الهمزة في وسط الكلمة: إبدالها عيناً نحو سعل وجعر، في سأل وجأر،وهو ما يعرف في اللهجات العربية القديمة بـ (العنعنة) وقد أشار ابن جني إلى أنها لغة (تميم)[3]وورد في الخصائص في باب اختلاف اللغات وكلها حجة:"أمّا عنعنة تميم فإن تميما تقول في موضع أن: عن، تقول: عنَّ عبد الله قائم.

قال الأصمعّي: سمعت ابن هَزْمة يُنشد هارون الرشيد:

أعَنْ تغنَّت على ساقٍ مطوَّقةٌوَرْقاءُ تدعو هَدِيلا فوق أعوادِ** [4]

وقد يكون إبدال الهمزة عيناً في أول الكلمة أو آخرها مثل قولهم: فقع وانفقع، وهو من فقأ وانفقأ، وقولهم في الاستفهام: وين بدلاً من أين، وقولهم في الدعاء: يامين بدلاً من آمين.

وكما أبدلوا الهمزة إلى حرف آخر نجدهم يحذفونها في بعض المواضع فقالوا: مرة، بدلا من امرأة، وسماعين بدلاً من إسماعيل.فإبدال الهمزة هنا تحقيقاً لقانون السهولة واليسر والتخفيف.

2/ صوت العين

العين صوت حلقي مخرجه الحلق مع الحاء[5]، وهي حرف مجهور يكون أصلاً وبدلاً،الأصل مثل عرف وعين، وشعر، وصنع.أما البدل فقد أبدلت من الهمزة كما رأينا في إبدال الهمزة، وقد تقلب العين الساكنة نوناً إذا جاورت الطاء وهو ما يعرف ب(الاستنطاء)[6] كقولهم: أنطي: بدلاً

1 سورة البقرة 54

2اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص120

3سر صناعة الأعراب لأبي الفتح عثمان ابن جني . تحقيق حسن هنداوي . دار القلم دمشق . ط 2 1413ه 1993م . 229/1.

4 المزهر للسيوطي 122/1

5 الأصوات اللغوية . كمال بشر ص603

6 المزهر للسيوطي 222/1

من: أعطى. ومن شواهدها عن أم سلمة رضي الله عنها أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرأ ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾ ﴾[1] قرأ (وأنطاهم تقواهم) وقرأ الحسن وغيره: «إنَّا أنطيناك الكوثر»[2] في قوله تعالى (إنا أعطيناك الكوثر)[3]

وكلمة أنطيت وأنطيتك متداولة الآن على نطاق واسع في أنحاء من دارفور وكردفان وورد في أمثالهم: "منعم أنطاني غلة" و"جلابي كان لقيته وحيده ينطيك وليده"وسمعت أبنائي يرددون كلمات أغنية شعبية من مناطق دارفور يتغنى بها أحد المغنيين الشباب تقول:

بقيت بعيد عنكِ
شايل براي همكِ
ناس أبوك وأمكِ
أنطوكِ لود عمكِ

فهذه الظاهرة وتسمى الاستنطاء وهو لغة من الإعطاء[4] يرى الدكتور عبد الغفار حامد هلال أن الصوتين بينهما تقارب في بعض الصفات يسوغ التبادل بينهماكالجهر والاستفال والانفتاح وهما أيضا صوتان متوسطان بين الشدة والرخاوة[5]

2/ صوت الحاء:

صوت الحاء من الأصوات التي أبدلت في العامية السودانية تطبيقاً لقانون السهولة واليسر. فهي عند القدماء حرف حلقي مهموس،[6] وهي من الأصوات التي اتفق فيها المحدثون مع القدماء في مخرجها وصفاتها، وقد قلبت في العامية السودانية هاء؛ لقرب المخارج والصفات؛ فالحاء حلقية مهموسة احتكاكية, والهاء حنجرية مهموسة احتكاكية[7]، ووصفها القدماء بأنها حلقية،

1 سورة محمد 117

2 سورة الكوثر 4

3 منار الهدى في بيان الوقف والابتداء لأحمد بن عبد الكريم بن عبد الكريم الأشموني تحقيق: عبد الرحيم الطرهون. دار الحديث. القاهرة. مصر 2008م 433/2

4 اللسان مادة (عطى)

5 اللهجات العربية نشأة وتطورا. عبد الغفار حامد هلال. ص 186

6 سر صناعة الإعراب 179/1

7الأصوات. كمال بشر. ص:213

فيقولون: همزة وهبارى بدلاً من: حمزة: علم مذكر، وحبارى: لنوع من الطيور،وقد ورد في اللهجات العربية القديمة إبدال الحاء هاء فقالوا: كدَحه وكدَهه وقَحَل جلْدُه وقَهل: إذا يبس والجَلح والجَله: انحسارُ الشعر عن مقدَّم الرأس وحَبش وهَبشَ أي جمع وحَقْحَق في السير وهَقْهَق: إذا سار سيراً متْعباً وبُحْتُر وبُهْتُر: القصير، ويقال: نَحَم بَنْحم ونهَم ينهم ونأم يَنْأم بمعنى زَحَر والنَّهم والنّهيم وهو صَوْتٌ كأنه زَحير وأَنَح يأْنح وأنَه يأْنه وفي صوته صَحْل وصَهْل أي بحُوحَة وهو يَتَفَهَقُ في كلامه: إذا توسع وتَنَطَّع [1]وقلبت الحاء في العامية السودانية بنظيرها المهموس الخاء فقالوا: ختً بدلا من حطَ.

3/ صوت الخاء:

الخاء عند القدماء صوت حلقي[2] وعند المحدثين صوت طبقي مخرجه أقصى الحنك [3] وهي صوت مهموس احتكاكي، [4]وقد أبدلت في العامية السودانية قافا فنسمعهم يقولون: الدقشة: وتستعمل عندهم في معنى الكثرة، وأكثر استعمالها فيما يحزم أو يجمع من الأشياء على غير نظام فيقولون: دقشة حطب ودقشة قروش وغيرها [5]

والدقشة هي الدخش فأبدلوا الخاء قافاً لقربها من مخرجها وقد ورد عن العرب هذا النوع من الإبدال؛قال الزبيدي ؛ قال ابن دريد: الدخش: فعله ممات يقال دخش دخشا كفرح: إذا امتلأ لحماً. ..وقالَ يُونُسُ: رَجُلٌ دَخْشَنٌ: غَلِيظٌ خَشِنٌ[6]

وقد تبدل الخاء جيماً أو كافاً كما في قولهم: سجم وسكن: للسواد الناتج من الاحتراق،ومن هنا جاءت الكلمة المعروفة عند النساء (سجمي) وتقصد بذلك الدعاء على نفسها أن يغطى جسمها بهذا السواد. ويردها الدكتور إبراهيم آدم إسحق " أطال الله عمره " أنها ربما تكون من باب إبدال الجيم كافا، فتكون مأخوذة من: الكتن عند العرب إذ هو أيضا بمعناه[7] ورد في القاموس "

1المزهر في علوم اللغة وأنواعها. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي. تحقيق فؤاد علي منصور. دار الكتب العلمية. بيروت. ط: 1 1998/1.1/ 361

2سر صاعة الإعراب 52/1

3الأصوات كمال بشر 184

4السابق 199

5معجم اللهجة الدارفورية العامية د إبراهيم آدم إسحق دار الخرطوم الجديدة اكتوبر 2010 ص:194.

6تاج العروس 310/4

7معجم اللهجة الدارفورية العامية. د إبراهيم آدم إسق ص.264

الكـتن: محركـة: لطـخ الـدخان ،والسـواد بالشـفة ولـزوق الوسـخ بالشـيء[1]وهـو في صـريح العربية:سخم وسخام فأبدلت الخاء كافا إذ تقول العرب أغبن وأخبن وأكبن. والسخم السواد والسخام سواد القدر[2]

4/ صوت القاف:

القـاف عنـد القـدماء صـوت لهـوي شـديد مجهـور[3] وهي عنـد المحـدثين صـوت لهـوي انفجـاري مهموس[4]

يعد صوت القاف من الأصوات التي عانت كثيرًا من التغييرات التاريخية في اللغة العربية، فإن مقارنـة اللغـات السـامية، تـدل على أنـه صـوت شـديد مهمـوس، ينطـق برفـع مـؤخرة اللسـان، وإلصاقها باللهاة، لكي ينحبس الهواء عند نقطة هذا الالتصاق، ثم يزول هذا السد فجأة، مع عدم حدوث اهتزازات في الأوتار الصوتية، ففي العبرية مثلا: قُولK?l ، وفي الآرامية: قالا kàlà ، وفي الحبشـية: قَـالْ k?l، بمعنى: "صـوت"؛ في الجميـع، وهـو يقابـل في العربيـة: "قَـوْل"، وفي الآشورية: قُولُ kulu بمعنى "صراخ"[5].

... وقـد عـدَ قـدماء اللغـويين العـرب " القـاف " مـن الأصـوات المجهـورة في العربيـة الفصـحى، فـإن صدق وصفهم إياها بالجهر، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة.

... وقـد بقي هـذا النطـق المجهـور في أغلـب البـوادي، في اللهجـات العربيـة المعاصـرة وإن تقـدم مخرجه إلى الأمام قليلاً وأصبح كالكاف الفارسية.

... غير أن هنـاك تغييرات أخـرى كثيرة، طرأت على هـذا الصـوت في البـلاد العربيـة، فهـو ينطـق صـوتًا مزجيًّا (affricate) كالجيم الفصـيحة، في بعـض بلـدان الخليج العربي كالبحرين، فقـد سـمعت بعض أهلها يقولون:" الجِبْلة " بدلاً من: " القِبْلة ".

أمّا القاف في العامية السودانية فلها ثلاث صور من النطق:

1/ أن تنطق (G) وتسمى الجيم القاهرية.

2/ أن تنطق (كافاً) وتسمى القاف المعقودة.

1القاموس المحيط 264/4

2السابق 233/1

3سر الصناعة 277/1

4الأصوات. كمال بشر. ص: 276

5الأصول العربية للهجة دارفور العامية (القروية). د إبراهيم آدم إسحق. ط1. 1423هـ 2002م. ص:103. 104

3/أن تنطق غيناً.

أما النطق الأول: وهو أن تنطق: (G) كما في كلمة (GO) الإنجليزية وتسمى الجيم القاهرية، وهي في هذه الحالة صوت شديد مجهور كما وصفها القدماء إلا أنه قد تقدم مخرجها قليلاً إلى الأمام وأصبحت كالكاف الفارسية كما وصفها الأستاذ إبراهيم آدم إسحاق[1] فنقول في العامية السودانية: قلب، ووقية، وقدام بجهر (القاف) وربما كانت هذه القاف المنطوقة(G) هي القاف الفصحى التي روي أنها كانت مستعملة في جهات من اليمن، ويؤكد ذلك ورود عدد من الألفاظ في معاجم الفصحى بالقاف والجيم مثل المقداف والمجداف، والقرح والجرح، فيدلنا هذا الازدواج على أن بعض القبائل كانت تنطق القاف المجهورة (G) فلما سادت الفصحى، حملت معها القاف المهموسة, فالتقى الصوتان فرسمت الثانية في الخط (جيماً)؛إذ لم يجدوا لها في الكتابة حرفا يعبر عنها[2]

أمّا النطق الثاني للقاف في العامية السودانية فهو أن تنطق كافاً في مثل:كتل، ووكت، وبرتكان، وفكي. بدلاً من: قتل، ووقت، وبرتقال، وفقيه. حيث تغير مخرج القاف بالرجوع إلى الوراء قليلاً فصارت تنطق من اللهاة من مخرج الكاف. ولاشك أنّ هذا الصوت هو الذي وصفه ابن سينا بقوله: "فهي تحدث حين تحدث الكاف ولكن أدخل وبحبس أضعف إلا أنها أدخل قليلاً[3]، وهي صورة من صور القاف المهموسة التي انتشرت في لهجات نجد القديمة، والتي عبر عنها القدماء بلغة تميم، وكانت تشمل قبائل عديدة من قيس وأسد قال الفراء: قريش تقول: كشط، وقيس وتميم تقول: قشطت، بالقاف. وليست القاف في هذا بدلاً من الكاف، لأنهما لغتان لأقوام مختلفين.[4]وهي التي أطلق عليها القاف المعقودة، وقد انتقلت منذ القرن الرابع الهجري إلى إفريقيا والأندلس. أمّا في العامية السودانية فنقول: مكشاشة بدلاً من: مقشاشة، فأبدلت القاف كافاً، والناظر في العلاقة الصوتية بين القاف والكاف يراها قوية من حيث المخرج والصفات، فلا مانع من التبادل بينهما وفي رأيي أن الكاف أسهل نطقاً من القاف.

1الأصول العربية للهجة دارفور العامية .د إبراهيم آدم إسحق ص: 19

2/ اللهجة العامية السودانية في الحديث والأثر .د. أبشر عوض محمد إدريس .مطبعة دبي الإمارات العربية المتحدة .د ط .1429هـ .2008 م .ص: 39 .40

3رسالة أسباب الحروف .للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا .تحقيق محمد حسّان الطّيان ويحي مير علم .من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ص: 127

4سر الصناعة لابن جني .باب القاف

أمّا الصورة الثالثة لنطق القاف في العامية السودانية: فهي نطقها (غيناً) أي: من أقصى الحنك، احتكاكية ،مجهورة. نحو قولنا: (الاستغلال) في: (الاستقلال)، واللغب في:اللقب، فقد تحول نطق القاف إلى غين،وهذا النوع من النطق من الأخطاء الصوتية الشائعة حتى على مستوى الإذاعيين والمثقفين السودانيين فعند استماعك لهم تجد الكلمات التالية: لغاء، وغناة، ويغدر، والديموغراطية، وعلاغة، واغتصادي، وانتغلت، والاستغلال بدلاً من: لقاء، وقناة، ويقدر، والديموقراطية، وعلاقة، واقتصادي، وانتقلت، والاستقلال. .. والتعليل الصوتي لكل هذه الانقلابات، سهل ويسير، فتأثير " قانون الأصوات الحنكية" واضح في انقلاب القاف إلى نطق مزجي، في بعض بلدان الخليج (كالجيم الفصيحة)، وفي الرياض وضواحيها. والدليل على ذلك أن الغين اختلف في مخرجها حتى علماء الأصوات أنفسهم فوصفها القدماء بأنها من أدنى الحلق[1] ووصفها المحدثون بأنها من أقصى الحنك والحلقية عندهم صوتان فقط العين والحاء[2].

... كما أن ضياع الانفجار من القاف، وتزحزح مخرجها إلى الأمام قليلاً، هو المسئول عن انقلابها غينًا في نطق أهالي السودان وجنوبي العراق. وقد ورد مثل هذا الإبدال في اللهجات العربية القديمة ورد في اللسان: غَثَمَ له من المال غَثْمةً إذا دفَع له دُفْعة ومثله قَثَمَ وغَذَمَ وغَثَمَ له من العَطِيَّة أَعطاه من المال قطعة جَيِّدة[3]

5/ أصوات الإطباق:

من الأصوات التي اطرد فيها الإبدال لصعوبة نطقها وتحقيقا لقانون السهولة واليسر:(أصوات الإطباق) وهي في اللغة العربية (ص. ض. ط. ظ) ومعها يرتفع مؤخر اللسان نحو أقصى الحنك، ويتأخر قليلاً نحو الجدار الخلفي للحلق،ويكون اللسان مقعراً من وسطه وهذا هو المقصود بالإطباق عند علماء العربية[4] ، وقد عرّف القدماء الإطباق بقولهم: والإطْباقُ: أن ترْفَع ظهْرَ لِسانِك إلى الحَنَك الأعلى مُطْبِقاً له. وقد أشار سيبويه إلى أن صفة الإطباق تميز بين الأصوات بقوله: "فلولا الإطْباقُ لصارَت الطّاءُ دالاً ، والصّادُ سِيناً ، والظّاءُ ذالاً ، ولخَرجَتِ

1سر الصناعة لابن جني 52/1

2الأصوات كمال بشر 206

3لسان العرب لابن منظور مادة (غثم)

3/ علم الأصوات كمال بشر .ص:250

الضّادُ من الكلام ، لأنّه ليسَ من موضِعِها شَيْءٌ غيرُها ، تَزولُ الضّادُ إذا عدِمَ الإطْباق البَتّة[1] ومن ثم فإنّ أصوات الإطباق أصوات مفخمة لها رنة قوية في الآذان لا تتوافر في غير المطبقة[2]هذا بالإضافة إلى استعلائها، والاستعلاء هو: " خروج صوت الحرف من أعلى الفم لعلو اللسان عند النطق بالحرف إلى الحنك الأعلى والمستعلية سبعة أحرف: أربعة منها هي التي ذكرنا أنها مطبقة والثلاثة الأخر هي: القاف والغين والخاء."[3] لذلك فقد مالت معظم اللهجات العربية القديمة والحديثة إلى إبدالها بنظائرها المرققة المنفتحة: (د.ت.س.ث).

فالطاء:

صوت أسناني لثوي انفجاري مهموس مفخم أو مطبق[4]، وهي عند القدماء صوت مجهورقال ابن جني"اعلم أن الطاء حرف مجهور مستعل يكون أصلًا ويكون بدلاً"[5]

ولصعوبة نطق الطاء للإطباق مالت العامية السودانية إلى إبدالها تاء،والتاء هي النظير المرقق للطاء، والتاء صوت أسناني لثوي مهموس، فقالوا:ختف، وختّ، وبتيخ، بدلاً من:خطف وحطّ، وبطيخ. فأبدلت الطاء بنظيرها المرقق: (التاء)

وقد عرف هذا الإبدال عند العرب القدماء ورد في اللسان:وأَفْلَطني الرَّجُلُ إِفْلاطاً: مِثْلُ أَفْلَتني، وَقِيلَ لُغَةٌ فِي أَفلتني، تَمِيمِيَّةٌ[6]وقال ابن سيده في المخصص: وقد أبدلت التاء من الطاء في (فعلت) وهي لغة تميم. قالوا: فحصط برجلك يريدون:فحصت[7]

وأحياناً تنطق الطاء في العامية السودانية مجهورة مشربة بالتهميز(glottalization) حيث نشعر عند نطقها بوجود عنصر الهمزة فيها،ويتم نطقها بقفل الوترين الصوتيين حال النطق بها فيخرج الهواء بقوة فنسمع طاء مهمزة ، مثل قولنا (طابت، وبط) بنوع من القلقلة ،وربما كانت هذه الطاء المشربة بالتهميز هي التي وصفها القدماء ووردت في كتبهم على أنها مجهورة[8]

1تاج العروس مادة (طبق)

2اللهجات العربية في القراءات القرآنية.عبده الراجحي ص 170

3 لسان العرب.ابن منظور.مادة (علو)

4الأصوات.كمال بشر.ص 250

5سر الصناعة 1/ 229

6/ لسان العرب لابن منظور مادة (فلط)

7 /المخصص.لابن سيده.ط: دار الآفاق الجديدة بيروت.د.ت.270/3

8/ الأصوات كمال بشر.ص: 253.252

أمّا الضاد:

فهي تمثل قضية لا أباحسن لها؛ إذ حار الناس في تعريفها وإدراك خواصها، واختلفوا في مخرجها وصفاتها وأدائها.

فهي عند المحدثين: صوت أسناني لثوي،وقفة انفجارية، مجهور مفخم (مطبق)[1].

وهي عند القدماء:جانبية: يخرج هواؤها من إحدى جانبي الفم أو منهما معاً وهي رخوة احتكاكية[2]وحتى القدماء أنفسهم اختلفوا في ضبط حدوده ضبطادقيقاً، وفي كيفية أدائه فهو عند بعضهم من أصوات التفشي ولكنه منفرد بالاستطالة والمستطيل حرف واحد وهو الضاد، سمّي بذلك لأنه استطال بما فيه من القوّة بسبب الجهر والإطباق والاستعلاء فأدرك مخرج اللّام.[3]دون أن يشرحوا لنا الاستطالة شرحا واضحا.وقد لخص لنا ابن الجزري هذا الاضطراب في وصف الضاد بقوله: (المخرج الثامن للضاد المعجمة من أول حافة اللسان وما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر ومن الأيمن عند الأقل. ..وقال الخليل: إنها شجرية، ثم يقول: وحرف التفشي هو الشين اتفاقا أضاف بعضهم إليها الفاء والضاد)[4] والضاد القديمة كانت عصية النطق على المستعربين الذين كانوا يتعلمون العربية تعلما، بل كانت عصية النطق على بعض القبائل العربية نفسها يؤيد ذلك ماحكي من أن أعرابيا سأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائلا: أيضحى بضبي ؟ قال له عمر: وما عليك لو قلت: أيضحى بظبي؟ فقال الرجل: إنها لغة.فقال عمر: انقطع العتاب، ولا يضحى بشيء من الوحش[5] نتيجة لهذا الإشكال في نطقها وصعوبة مخرجها إضافة للإطباق الذي فيها فقد مالت معظم اللهجات إلى التخلص منها، وقد فرّت العامية السودانية إلى نظيرها المرقق (الدال) فقالوا:خدر، وخدار، وأخدر بدلاً من: خضر، وخضار، وأخضر. قالوا غميد العيون من غمضها.

ومثل هذا الإبدال معروف في اللهجات المغربية الناطقة بالعربية[6]

1/الأصوات.كمال بشر ص: 253

2سر الصناعة 52/1

3الكنز في القراءات العشرلأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ المحقق: د. خالد المشهداني الناشر: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرةالطبعة: الأولى، 1425 هـ - 2004 م.1/ 245

4النشر في القراءات العشر.لابن الجزري 214/1

5 المزهر.للسيوطيه 563/1

6 / فصول في علم أصوات العربية.د إبراهيم آدم إسحق.ص:60

أما الظاء:

فقد وصف ابن جني مخرجها بقوله:"من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا[1] ووصفها ابن يعيش بأنها: صوت لثوي مجهور مفخم، وقال إنها لثوية[2]

فهي صوت أسناني، احتكاكي، مجهور، مفخم (مطبق)[3]يتم نطقه بوضع طرف اللسان بحيث يلتصق بأطراف الثنايا العليا مع رفع مؤخرة اللسان تجاه مؤخرة سقف الحنك الأعلى اللين وتقريبها من الجدار الخلفي للحلق مع سد المجرى الأنفي وتضييق مجرى الهواء ، مع ذبذبة الوترين الصوتيين محدثا الجهر[4]ولولا الإطباق لصارت الظاء ذالا وهذا ما جعل ابن جني يذهب إلى أن هذه الظاء خاصة بالعرب [5]وذلك قوله: "اعلم أن الظاء لا توجد في كلام النب، وإذا وقعت فيه قلبوها طاء... فقالوا ناطور، وإنما هو ناظور"[6]

وقد مالت العامية السودانية إلى إبدالها ذالاً في النطق وهو النظير المرقق للظاء وخاصة عند النساء وقد وقع في التراث اللغوي القديم تبادل بين الذال والظاء في بعض الكلمات يقول الزبيدي: تبدل الظاء من الذال المعجمة فيقال: وقيذا ووقيظاً وأرض جلذاء وجلظاء.

وحدث إبدال بينها وبين الضاد في العامية السودانية فقالوا: ظابط في ضابط، والضهر لصلاة الظهر، وضل: في الظل وضهر الشيء: لظهره بخلاف بطنه.

وهذا الإبدال للضاد كان معروفاً في اللهجات العربية القديمة وقد امتدّ هذا الخلط أحياناً إلى الكتابة وقد صنعت بحوث وألفت كتب مستقلة لبيان الفروق بينهما[7]فقد قالت تميم:فاضت روحه بالضاد، وقالت قيس: فاظت روحه بالظاء فاضَ الرجلُ وفاظَ إذا مَاتَ، وَكَذَلِكَ فَاظَتْ نفسُه. وَقَالَ أَبو الْحَسَنِ: فاضَت نَفْسُهُ الْفِعْلُ لِلنَّفْسِ، وفاضَ الرجلُ يَفِيض

1 / سر الصناعة لابن جني 70/1

2 / شرح المفصل لعلي بن يعيش. ط. إدارة المطبعة المنيرية بالقاهرة. د. ت. 125/10

3الأصوات. كمال بشر. ص 299

4 فصول في علم أصوات العربية. د. إبراهيم آدم إسحق. ص:63

5 السابق والصفحة

6 السابق ص:64

7الأصوات. كمال بشر. ص 300

وفاظَ يَفِيظُ فَيْظاً وفُيوظاً.[1]وروى المازني عن أبي زيد: أن العرب تقول: فاظت نفسه بالظاء، إلا بني ضبة فإنهم يقولون بالصاد[2]

صوت الصاد:

وهي صوت لثوي، مهموس، احتكاكي، مطبق[3]، وقد جعلها ابن جني سنية تحدث عن طريق وضع طرف اللسان خلف الأسنان أو بينها[4]ولولا الإطباق لصارت الصاد سينا محضة وحين تزول صفة الإطباق عن الصاد فإنها تتحول إلى إحدى نظيرتيها: الصاد والزاي.[5]ولصعوبة نطقه؛ للإطباق أبدلت في العامية السودانية وفي كثير من اللهجات العربية القديمة والحديثة: سيناً، فقالوا: السقر، والسدر والسبر، والمغس، بدلاً من: الصقر، والصدر، والصبر، والمغص. وإبدال الصاد سيناً كان معروفاً في اللهجات العربية القديمة؛ فقد ذكر ابن جنّي أنهم قالوا:سالغ وصالغ، وسطر وصطر، والسوق في الصوق[6] كما قالوا: سفقت الباب وصفقته، وهو يرى أن الصاد أعلى وقد ورد في اللسان: الصماخ والسماخ للأذن الداخلية[7]

وقرأ الجمهور (اهدنا الصراط المستقيم)[8] الصراط: بالصاد. وقرأ ابن كثير (السراط): بالسين[9].

ومن ذلك قولهم في العامية السودانية: فلس: بفتح الفاء وتشديد اللام للإفلاس وهو فقدان مايملكه المرء من متاع أو مال وتستعمل أيضا للإفلات فيقال فلس الطبلة"للقفل" أي

1لسان العرب مادة (فوض)

2 لسان العرب. مادة (فوض)

3علم الأصوات كمال بشر ص: 302

4سر الصناعة لابن جني. 221/1

5 فصول في علم أصوات العربية. د. إبراهيم آدم إسحق. ص:56

6المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها. لأبي الفتح عثمان ابن جني. تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرون. من منشسورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث. 1420هـ. 1999م. 168/2

7اللسان مادة (صمخ)

8 سورة الفاتحة 4

9الحجة في علل القراءات السبع. لأبي علي الفارسي. تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون. الهيئة المصرية العامة للكتاب. 1403/1983ط 2. 36/1

أفلت قفلها، وهي في العربية: فلص فأبدلت الصاد سينا. قال الزبيدي: فلصه من يده تفليصا: خلصه والإنفلاص التفلت من الكف.[1]

وقد يحدث العكس في العامية السودانية فيبدل أحد الأصوات غير المطبقة إلى صوت من أصوات الإطباق نحو قولهم في العامية السودانية: ماص الشئ: أي ذوبه في الماء، والمواصة للعجين المذاب في الماء، فأبدلت الثاء صاداً، وهي في صريح العربية؛ قال الجوهري: "ماث الشيْ في الماء يموثه موثا: خلطه، وماث الملح في الماء أذابه.[2]

ومن ذلك قولهم: إضينة: للشخص الهين المنقاد لغيره فهو لا رأي له، ولايستشار. وأضينة: إنما أصلها أذينة تصغير أذن، فأبدلت الذال ضادا. وقد ورد ذلك عن العرب: ورد في تاج العروس (ومن المجاز الأذن: الرجل المستمع لغيره القابل لما يقال له، قال أبو زيد: رجل أذن: إذا كان يسمع مقالة كل أحد)[3]

وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث؛ فالرجل أذن والمرأة أذن ولايثنى ولا يجمع ، فالرجل أذن والرجال أذن.

6/ من الأصوات التي أبدلت في العامية السودانية صوت الجيم:

وهي عند المحدثين: صوت مركب (وقفة احتكاكيةAffricates) وعند النطق به يرتفع مقدم اللسان تجاه مؤخر اللثة ومقدم الحنك حتى يتصل بهما، فينحجز الهواء ثمّ يتم الانفصال ببطء فيخرج الهواء محدثاً احتكاكاً، ويهتز معه الوتران الصوتيان فاالجيم إذن صوت: حنكي، مركب،مجهور[4]. وصفها القدماء بأنّها انفجارية؛باعتبار الوضع الأول لنطقها؛ إذ إنّ الجزء الأول لنطقها انفجاري كالدال،والثاني احتكاكي كالجيم الشامية. وهذا يقودنا إلى الوقوف عند مصطلح (الشدة) عند القدماء: فهو إذن لا يعني الانفجار، وإنما يعني وقوف الهواء وانحباسه[5]

1تاج العروس 417/4

2تاج العروس 246/4

3تاج العروس 120/9

4الأصوات كمال بشر ص 311

5الأصوات كمال بشر ص: 204

ويذهب علماء الأصوات إلى أنّ الأصوات الانفجارية وهي الأصوات المجموعة في قولهم: (أجدت طبقك) قابلة للتطور إلى أصوات مركبة إذا أتبعت بحركات معينة(الكسرة أو ما في حيزها)[1] وخصوا من هذه الأصوات الحنكية: (ج.د.ط.ت) واستثنوا: الهمزة والباء والقاف.[2]

ومن صور تطور الجيم في العامية السودانية: أن تنطق دالاً، فنقول: شدرة وديش بدلاً من: شجرة وجيش.وهذا الإبدال له مسوغ فسيولوجي؛ لأنّ الجيم كما ذكرت صوت مركب من عنصرين هما: الدال والشين فربما اكتفى السودانيون بنطق العنصر الأول منها وهذا النوع من الإبدال بين الجيم والدال هو إبدال شائع في العاميات العربية القديمة والمعاصرة فقد قالت عامة أهل الأندلس في القرن الرابع الهجري تدشيت في: تجشأت، ودريشة في جريشة.[3]

من أهم الظواهر الفونولوجية لكثير من لهجات شبه الجزيرة العربية نطق الجيم ياء. وهذا التغير الصوتي ليس محصورًا في مجموعة واحدة وإن كان الجواليقي في زمن مبكر قد عاب (مَسِيد) بأنها نطق سوقي لكلمة (مَسْجِد)، فإن الأمر في الحقيقة لا يبدو كذلك، ففي أمثلة أخرى يبدو أن الجيم فيها صارت ياء في العربية الفصحى أو في اللهجات القديمة، يناقش كوفلر تغير (شجر) إلى (شِيَر) أما أعظم هذه الأمثلة طرافة من حيث الدلالة على التغير الصوتي، فهي الكلمة (شِيَر) التي يصاحب تغير السواكن فيها تغيرًا في الحركات. وبسبب هذا التغير ذهب ابن جنيإلى أن (شِيرَ) هي الأَصل و(شَجَر) هي الصيغة المتطورة عنها، و(جشجاث) إلى (جشياث)، و(صهريج) إلى (صهريّ)، و(جصَّص) إلى (يصص).[4]

ويقول لسان العرب مفسرًا هذه الظاهرة بالنسبة لهذه الأمثلة كلها:" يصص) في ترجمة بصص أَبو زيد يصَّصَ الجِرْوُ تَيْصِيصاً إِذا فتح عينيه لغة في جَصَّصَ وبَصَّصَ أَي فقَحَ لأَن العرب تجعل الجيم ياء فتقول للشجرة شيَرة وللجَثْجَاث جَثْياث وقال الفراء يَصَّصَ الجِرْوُ تَيْصِيصاً بالياء والصاد قال الأَزهري وهما لغتان وفيه لغات مذكورة في مواضعها وقال أَبو عمرو بَصَّصَ ويصَّصَ بالياء بمعناه لأَن العرب تجعل الجيم ياء " [5].

1الحركات التي في حيز الكسرة بحسب الحركات المعيارية التي وضعها دانيال جونز هي: (الحركات الأمامية التي يرتفع معها الجزء الأمامي من اللسان ويقابلها في العربية الكسرة وياء المد والألف الممالة)

2الأصوات اللغوية كمال بشر ص: 329

3الأصول العربية للهجة دارفور العامية ص277

4بحوث ودراسات في اللهجات العربية.من اصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة 320.344

5لسان العرب مادة (يصص)

7/ الأصوات الأسنانية اللثوية:

وهي صوت (الثاء، والذال، والظاء) وهي من الأصوات التي كثر إبدالها بغيرها في العامية السودانية.

الثاء:

صوت احتكاكي مهموس يوضع طرف اللسان حال النطق به بين أطراف الثنايا العليا والسفلى بحيث يمر الهواء محدثا احتكاكا[1].

وقد تحول صوت الثاء في العامية السودانية إلى:تاء،وصوت التاء قريب في مخرجه من الثاء؛ إذ إنه صوت أسناني، إلا أن الفرق بينهما أن التاء صوت انفجاري(شديد) والثاء صوت احتكاكي (رخو) والأصوات الانفجارية تحتاج إلى جهد عضلي أقل من الأصوات الاحتكاكية، فنجدهم في العامية السودانية يقولون: تلاته، واتنين، وتوب، وتوم، وتور،بدلا من ثلاثة، واثنين، وثوب، وثوم، وثور. ويقولون للمرأة الحامل في شهورها الأخيرة إنها تقيلة وإنما هي ثقيلة وهي (أثقلت) قال تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2]

وقد ورد عن القدماء إبدال الثاء تاء، فقد ورد في اللسان قول الشاعر:

يَنْفَعُ الطَّيِّبُ القليلُ مِنَ الرِّزْقِ ** وَلَا يَنْفَعُ الكَثيرُ الخَبِيثُ

وسأَل الخليلُ الأَصْمَعيَّ عَنِ الخَبِيتِ، فِي هَذَا الْبَيْتِ، فَقَالَ لَهُ: أَراد الخَبِيثَ وَهِيَ لُغَةُ خَيْبَر، فَقَالَ لَهُ الْخَلِيلُ: لَوْ كَانَ ذَلِكَ لغَتَهم، لَقَالَ الْكَتِيرَ، وإنما كَانَ يَنبغي لَكَ أَن تَقُولَ: إنهم يَقْلِبُونَ الثَّاءَ تَاءً فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ)[3] ومن إبدال الثاء تاء في العامية السودانية قولهم: التِفَة للشعر الكثيف فيقال لصاحبه (أب تفة) ،ويحسبها الدكتور إبراهيم آدم إسحق مأخوذة من التفث وهو مايصيب الحاج من عدم الحلق فيكثف شعر رأسه[4]فالتاء مبدلة من الثاء، وقد فعلت العرب

1الأصوات اللغوية .كمال بشر ص: 298

2سورة الأعراف 189

3لسان العرب .مادة (خبت)

4معجم اللهجة العامية الدارفورية ص:94

ذلك حين قالت: اغتثت الخيل واغتفت وهي الغثة [1]أما إبدال الثاء سينا عند السودانيين فهو خطأ صوتي قد يؤدي إلى خطأ دلالي نحو قولهم: (سلاسة) بدلاً من (ثلاثة)،و(سمر) بدلاً من: (ثمر) فالفرق واسع بين المعنيين.

أمّا الذال:

هي صوت بين أسناني ، احتكاكي، مجهور[2]،لذلك فقد تعددت صور نطقها في العامية السودانية لصعوبة مخرجها وللاحتكاك الذي فيها؛ فأبدل دالاً، فقالوا: دهب، بدلاً من ذهب،ودرة بدلاً من: ذرة،وداب بدلاً من ذاب، وأخد بدلاً من أخذ، وقالوا في الإشارة:دا بدلاً من ذا، ودي بدلاً من ذي، وداك هو: بدلاً من ذاك.

وقد تبدل الذال ضاداً في العامية السودانية فيقولون: كضاب بدلاً من كذاب، وضبح بدلاً من ذبح، والضنب بدلاً من الذنب، والضراع بدلاً من الذراع.

وهذا الإبدال لصوت الذال كان معروفا في بعض اللهجات العربية القديمة فقد ورد في اللسان: وَمَا ذاقَ عَدْفاً وَلَا عَدُوفاً وَلَا عُدَافاً أَي شَيْئًا، وَالذَّالُ الْمُعْجَمَةُ فِي كُلِّ ذَلِكَ لُغَةٌ. قَالَ أَبو حَسَّانَ: سَمِعْتُ أَبا عَمْرٍو الشَّيْبَانِيَّ يَقُولُ مَا ذُقْت عَدُوفاً وَلَا عَدُوفَة؛ قَالَ: وَكُنْتُ عِنْدَ يزيدَ بْنِ مِزْيد الشيْباني فأَنشدته بَيْتَ قَيْس بْنِ زُهَيْرٍ:

ومُجَنَّباتٍ مَا يَذُقْن عَدُوفَةً **يَقْذِفْن بالمُهَراتِ والأَمْهارِ

بِالدَّالِ، فَقَالَ لِي يَزِيدُ: صَحَّفت أَبا عَمْرٍو، إِنَّمَا هِيَ عَذُوفة بِالذَّالِ، قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ لَمْ أُصحف أَنا وَلَا أَنت، تَقُولُ رَبيعة هَذَا الْحَرْفُ بِالذَّالِ، وَسَائِرُ الْعَرَبِ بِالدَّال.[3]

8/ومن الأصوات التي أبدلت في العامية السودانية الأصوات الشفوية مع الأصوات الأسنانية:

نحو إبدال النون ميما في مثل: بمبر (للمقعد الصغير) بدلاً من بنبر، وهذا النوع من الابدال له مايسوغه من الناحية الصوتية، فالباء صوت شفوي مجهورشديد، والنون صوت أسناني أنفي مجهور متوسط، يتم نطقه برفع طرف اللسان نحو سقف الحنك الأعلى عند اللثة فيمر بينهما الهواء الخارج من الرئة محدثا ذبذبات في الوترين الصوتيين، وقد وصفت بأنها صوت

1المزهر للسيوطي 465/1

2علم الأصوات .كمال بشر .ص 299

3اللسان مادة (عدف)

خيشومي[1]، والباء صوت انفجاري والنون صوت أغن. إذن لبعد الصفات والمخرج فقد مالت العاميات السودانية إلى إبدال الصوت الأنفي (النون) إلى صوت قريب من الباء الشفوية، فقلبت النون ميما لاشتراكها مع النون في صفة الغنة ومع الباء في المخرج. وهذا النوع من الإبدال معروف في اللهجات العربية القديمة وفي القراءات القرآنية وهو ما يعرف عند علماء التجويد بظاهرة: (الإقلاب)[2]وهو مايسمى بظاهرة (المماثلة الصوتية): (Assimilation):

وهي أن يتجاور صوتان متقاربان في المخرج أو الصفة فيؤثر أحدهما في الآخر ومن ثم يقلبه إلى صوت مثله أو إلى صوت آخر مقارب له في الصفة أو المخرج [3]لإحداث نوع من المماثلة أو المشابهة بينهالتزداد قربا في الصفات أو المخارج ، وهو من القوانين التي تحكم عملية الإبدال في اللغات وهو ظاهرة شائعة في كل اللغات تقريبا. ومثل ذلك قولنا في العامية السودانية: (فرم) بدلا من (فرن)ـ فمن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، مخرج الفاءوهو صوت رخو مهموس، والنون صوت أسناني لثوي يتذبذب معه الوتران الصوتيان فهو أغن يخرج هواؤه من الخيشوم.فأبدل الصوت الخيشومي إلى صوت يناسب الفاء الأسنانية الشفوية إلى صوت شفوي وهو الميم.

ومن ذلك إبدال الميم وهي صوت شفوي أغن باء، وهي صوت شفوي انفجاري كقولهم: بكان بدلا من: مكان، للموضع، وجاء في أمثالهم (زاد الحبان ليهو بكان) أي إذا دعي أحدهم إلى طعام وقد سبق له أن أكل قبل هذا فلابدَ له من إجابة الدعوة ولو أن يأكل يسيراً. وبكان للمكان بإبدال الميم باء لا يأباه قياس العربية فقد ورد أن من أسماء مكة (بكة) وهو ماجاء به التنزيل في قوله تعالى {إنَ أوَل بيتٍ وضع للناس ببكة مباركاً وهدى للعالمين}[4]

وهذا النوع من الإبدال بين الحروف الشفوية والأسنانية كما ذكرت وارد في العربية وهي الحروف التي سماها العلماء بحروف (الذلاقة)وهي ستة أحرف لأن اللسان يمذل بهن فيفصح.

---

1 /فصول في علم أصوات العربية .د إبراهيم آدم إسحق .ص 49 .50

2فقد ورد في متن الشاطبية:

وقَلْبُهُمَا مِيْماً لَدَى الْبَا وَأَخْفِيَا. .. عَلَى غُنَّةٍ عِنْدَ الْبَوَاقِي لِيَكْمُلَا

متن الشاطبية: (حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع)للقاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: 590هـ)المحقق: محمد تميم الزعبي،الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنيةالطبعة: الرابعة، 1426 هـ - 2005 م باب أحكام النون الساكنة والتنوين 49/1

3 /فصول في علم أصوات العربية / د. إبراهيم آدم إسحق .ص:185

والذلاقة هي الفصاحة والطلاقة[1] والأصوات الذلقية هي:(ب،ر،ف،ل،م،ن) ولانجد في العربية كلمة رباعية أو خماسية خالية منهافإذا وجدت فإنها دخيلة[2]

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والشكر لله الذي أعانني على إكمال هذه الدراسة التي توصلت من خلالها إلى الآتي:

أولا:التنبيه إلى أهمية دراسة اللهجات، وذلك من خلال ربط أصوات العامية السودانية بأصوات اللغة العربية الواردة في اللهجات العربية القديمة وذلك لما لدراسة اللهجات من أهمية كبيرة؛ إذ إنها تعيننا في توضيح الكثير من الظواهر اللغوية التي لانجد لها تفسيراً، كما أن الاستعانة بدراسة اللهجات تعيننا كثيراً في فهم العربية الفصحى وتعليمها لأبنائها وللناطقين بغيرها من اللغات خلافا لما يذهب إليه بعضهم من أن الاعتناء باللهجات خطر على الفصحى.

ثانيا: أن العامية السودانية دون غيرها من العاميات العربية الأخرى تستحق أن نقف عندها بالدراسة والبحث؛ إذ إنها تعد من أفصح العاميات في العالم العربي، بل هي تقرب من لهجة بني أسد في الجاهلية؛ إذ إننا نجد ألفاظا عربية خشنة تدور في اللسان السوداني تعبر عن قوة الإنسان السوداني وطبيعته الخشنة.

ثالثا: أن التطور الصوتي لأصوات العامية السودانية من خلال أصوات اللهجات العربية القديمة مثلها مثل كل اللغات في العالم (مجموعة من الأصوات ترتبط مع بعضها البعض في نسق معين لتعبر عن المعاني والأفكار) لذلك فلا بد عند النطق من مراعاة الانسجام الصوتي بين الأصوات المتجاورة، وليتم ذلك يحدث نوع من التغيير والتبديل بين الأصوات المتجاورة، وهو ما يعرف بظاهرة (الإبدال الصوتي)

وقد لاحظت من خلال هذه الدراسة أنّ في العامية السودانية الكثير من الخصائص التي قد يظنّ بعض الناس أنها خارجة عن نطاق ماعرفته العرب في لغتها، فأثبت من خلال هذه الدراسة أن الكثير من ظواهر الإبدال الواردة في العامية السودانية لا تخرج عن القوانين الصوتية ولا تخرج عن نطاق ما قامت العرب بإبداله.فما حدث في العامية السودانية من إبدال لبعض الأصوات لايختلف عما حدث في فصيح العربية وهو ناتج عن تغييرات لبعض الأصوات لإحداث نوع من المجانسة وطلبا للسهولة واليسر.

2 المعجم الوسيط .مجمع اللغة العربية بمصر .ط. 31985م1/ 326

3 فصول في علم أصوات العربية ص52

المصادروالمراجع:

1/أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة العربية ـ فوزي الشايب ـ د ط ـ 2004 م ـ عالم الكتب الحديث.

2/بحوث ودراسات في اللهجات العربية ـ من إصدارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة (320 ـ 344)

3/ تاج العروس من جواهر القاموس ـ لمحمد بن محمد بن عبد الرازق الشهير بـ مرتضى الزبيدي ـ تحقيق: مجموعة من المحققين ـ دار الهداية.

4/ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث ـ الطيب البكوش ـ ط 3 ـ1992م.

5/الحجة في علل القراءات السبع .لأبي علي الفارسي .تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون .الهيئة المصرية العامة للكتاب .1403 /1983ط 2

6/ حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع المعروف ب (متن الشاطبية) ـ للقاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني أبو محمد الشاطبي ـ تحقيق محمد تميم الزعبي ـ مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية ـ ط 4 ـ 1426هـ 2005م.

6/الخصائص ـ لأبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ عالم الكتب بيروت.

7/ رسالة أسباب حدوث الحروف ـ للشيخ الرئيس أبي علي الحسين ين عبد الله بن سينا ـ تحقيق: محمد حسان الطيان ويحي مير علم ـ من مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق.

8/سر صناعة الأعراب ـ لأبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق حسن هنداوي ـ دار القلم دمشق ـ ط1 1421هـ ـ 2000م.

9/ شرح المفصل لعلي بن يعيش .ط. إدارة المطبعة المنيرية بالقاهرة .د. ت

10/الشعر الحديث في السودان عبده بدوي ـ من منشورات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب.

11/ الكنز فيالقراءات العشر، لأبي محمد، عبد الله بن عبد المؤمن بن الوجيه بن عبد الله بن على ابن المبارك التّاجر الواسطيّ المقرئ تاج الدين ويقال نجم الدين (المتوفى: 741هـ)المحقق: د. خالد المشهداني،مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة

12/ علم الأصوات ـ كمال بشر ـ د.ط 2000 م دار غريب للطباعة والنشر.

13/ علم اللغة .محمود السعران ط. دار المعارف 1970م

14/ لسان العرب ـ لمحمد بن مكرم أبو الفضل جمال الدين ابن منظور ـ دارصادر بيروت ط3 1414هـ.

15/اللهجة العامية السودانية في الحديث والأثر ـ د أبشر عوض محمد إدريس ـ مطبعة دبي الإمارات العربية المتحدة ـ د ط 1429هـ 2008م.

16/ اللهجات العربية في القراءات القرانية .عبده الراجحي مكتبة المعارف للنشر والتوزيع .ط1 1420هـ 1999م

17/ متن الشاطبية .للقاسم بن فيرةبن خلف الرعيني أبو محمد الشاطبي .تحقيق: محمد تميم الزغبي .مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني .ط 4.1426 .2005م

18/ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ـ لأبي الفتح عثمان بن جني ـ تحقيق علي النجدي ناصف وآخرون ـ من منشورات المجلس الأعلى للشئون الإسلامية لجنة إحياء التراث ـ 1420هـ 1999م

19/المخصص .لابن سيده .ط: دار الآفاق الجديدة بيروت .د.ت

20/المزهر في علوم اللغة وأنواعها جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ـ تحقيق فؤاد علي منصور ـ دار الكتب العلمية بيروت.

21 المعجم الوسيط .مجمع اللغة العربية بمصر .ط. 31985م

21/ منار الهدى في بيان الوقف والابتداء.أحمد عبد الكريم بن محمد الأشموني .تحقيق: عبد الرحيم الطرهون .دار الحديث القاهرة مصر .2008.